الابداع

هل الإبداع أساسه عوامل نفسية؟



المستوى

↙

3آداب وفلسفة

بالتوفيق

مقالة موسعة حول شروط الابداع (نفسية أم اجتماعية) جـــدل

طرح المشكلة: ساهمت الأفكار الإبداعية في نمو وتطور المجتمعات البشرية بشكل كبير، وخلقت هذه الأفكار حلولا ذكية للعديد من التحديات التي تواجه الإنسان سواء في مجال التعليم، الاقتصاد، التكنلوجيا وغير ذلك من المجالات الأخرى. لذلك كان هناك اهتمام خاص بالإبداع والمبدعين، ويُعرّف الإبداع بأنه إنتاج شيء ما على أن يكون جديدا في صياغته، وإن كانت عناصره موجودة من قبل، كإبداع عمل من الأعمال العلمية أو الفنية أو الأدبية، فهوعملية تقوم على تحويل الأفكار الجديدة والخيالية إلى حقيقة واقعة، وينتج عنها إحضار شيء جديد غير موجود مسبقاً إلى الوجود. لكن تحديد طبيعة الإبداع والشروط المتحكمة فيه اختلف حوله المفكرون والفلاسفة فمنهم من يرجع عملية الإبداع الى شروط نفسية وذاتية خاصة بالمبدع ومنهم من يرجعها الى شروط اجتماعية والى الحاجات التي يطلبها المجتمع، من هنا يمكننا التساؤل: هل الإبداع يتولد نتيجة صفات خاصة وذاتية أم أنه يعود الى البيئة الاجتماعية والثقافية؟

عرض الموقف الأول: يرى كثير من علماء النفس وبعض الفلاسفة أن الإبداع يعود الى شروط نفسية تتعلق بذات المبدع وتميزه عن غيره من الناس نذكر منها حدة الذكاء وقوة الذاكرة وسعة الخيال وخصوبته، والاهتمام الكبير والإرادة والشجاعة والجرأة والصبر والرغبة في التجديد إضافة الى مختلف الانفعالات وأهم رواد هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون وطبيب الأعصاب النمساوي سيجموند فرويد، فقد حلل فرويد ظاهرة الإبداع بردها الى الأفكار والذكريات والرغبات اللاشعورية ذلك أن العمل الإبداعي في نظره تعبير عن الرغبات المكبوتة التي يعمل المبدع على تحقيقها عن طريق التعويض إذ يعوض النقص الذي يعاني منه من خلال أعماله الفنية فالجاحظ أبدع في فن الأدب كتعويض لشكله الخارجي الذي لم يكن جميلا وليوناردو دافنشي الرسام الايطالي الشهير أبدع في فن الرسم لأنه كان ابنا غير شرعي لرجل ارستقراطي رفض الاعتراف به كابن فقد حاول تعويض

تجاهل أبيه له. **وما يثبت أن الإبداع يعود الى شروط نفسية متعلقة بذات** المبدع والتي ترتكز على **ثلاث جوانب: الجانب العقلي، والجانب الإرادي، والجانب الانفعالي**: **ففي الجانب العقلي يكفي استقراء وتتبع حياة المبدعين في مختلف المجالات يكشف أنهم يمتازون بقدرات عقلية خارقة** هيأتهم لأدراك المشاكل القائمة وإيجاد الحلول لها **فالمبدع يتصف بدرجة عالية من الذكاء و العبقرية؛ وقوة الذاكرة** وسرعة البداهة؛ فالذكاء يعني سرعة الفهم والقدرة على حل المشاكل النظرية و العملية وهو يساعد المبدع على طرح المشكلات طرحا صحيحا وإيجاد الحلول الجديدة لها يقول **هنري برغسون: "يتضمن الاختراع تحويل المخطط الى صور" يقول ستيف جوبز**: **"الإبداع هو الربط بين الأشياء، وعندما تسأل المبدِعين كيف ابتكروا أعمالهم، يشعرون بقليل من الذنب لأنَّهم لا يعرفون كيف فعلوها، هم فقط رأوها، واكتشفوا بعد فترة أنَّ لديهم القدرة للربط بين خبراتهم التي مروا بها، وصنع أشياء إبداعية جديدة."**

كما أن أصل كل إبداع هو قوة التخيل الإبداعي فكلما كانت قدرة الانسان على التخيل كبيرة كلما استطاع تصور حلول أوسع للمشاكل التي تعترضه، ويشترط الإبداع ذاكرة قوية فالعقل لا يبدع من العدم بل استنادا الى معلومات وخبرات سابقة۔ والتي تقتضي تذكرها۔ لذلك فالذاكرة تمثل المادة الخام والعناصر الأولية للإبداع.

وفيما يتعلق بالجانب الإرادي الذي يشمل قوة العزيمة واستمرارها لأن عملية الإبداع طويلة وشاقة وهي مبنية على المعاناة الدائمة، كما أن أديسون قبل اختراعه للمصباح الكهربائي قد حاول حتى نجح. حيث نجد **إديسون** صاحب أعظم الاختراعات منها المصباح الكهربائي: «**لا يمثل الإلهام إلا عشر العبقرية أما الأعشار التسعة المتبقية فهي عمل وجهد"**

. **بالإضافة إلى أن المبدع يتصف بالشجاعة الفكرية** والأدبية والروح النقدية والميل الى التحرر فقد كان **لويس باستور شجاعا جدا عندما غامر بتجريب لقاح داء الكلب على طفل صغير بعدما كان قد جربه على الحيوانات فقط فقد كانت الكنيسة**

تمنع التجريب على البشر وتعاقب من يقوم بذلك والتاريخ يثبت أنه ما من مكتشف أو مخترع توصل إلى إثبات افتراضاته بعد فترة زمنية قصيرة وإنما دامت مجهوداتهم لسنوات، **أما الجانب الانفعالي فيتعلق بالميل والرغبة** والاهتمام الشديد، فالأحوال النفسية الانفعالية لها تأثير قوي في عملية الإبداع واستقراء حياة المبدعين وتتبع أقوالهم وهم يصفون حالاتهم قبل الإبداع يؤكد دورها، فمن كثرة اهتمام العالم الرياضي الفرنسي **هنري بوانكاريه** حيث يقول: «إن الحظ يحالف النفس المهيأة» **ويقصد بذلك أن الانسان الذي يبذل مجهودات كبيرة يكون له حظ من النجاح**، والعالم **نيوتن** لم يكتشف قانون الجاذبية لمجرد سقوط التفاحة و إنما كان يفكر باهتمام بالغ وتركيز قوي في ظاهرة سقوط الأجسام وما سقوط التفاحة **إلا مناسبة لاكتشاف قانون الجاذبية حيث يقول:** «إنني أضع موضوع بحثي نصب عيني دائما وأنتظر سطوع الأنوار الأولى رويدا رويدا الى أن تتحول الى ضياء ساطع" **كما تعتبر الأحوال الانفعالية مادة الاختراع الفني والأدبي فالمخترع أو المبدع يعاني**، فالانفعالات القوية تنشط المخيلة التي هي أصل الإبداع **وفي كل هذا يقول برغسون :** «إن كبار العلماء و الفنانين يبدعون و هم في حالة انفعال قوي» **و يقول أيضا:** «إن العظماء الذين يتخيلون الفروض و الأبطال و القديسين الذين يبدعون المفاهيم الأخلاقية لا يبدعونها في حالة جمود الدم و إنما يبدعون في جو حماسي و تيار دينامي تتلاكم فيه الأفكار" **كما يتميز المبدع بالاستقلالية** التي تعتبر من أهم عوامل التفكير الإبداعي، لأنها تُحرر الفرد من التقيد بالآخرين، والتزام آرائهم وأفكارهم، حيث تميل إلى التّفرد والاستثناء والثقة بالنفس، مما يؤدي إلى تطوير نمط التفكير الإبداعي لديه

النقد: صحيح أن العوامل الذاتية لا غنى عنها في الإبداع، لكنها لا تكفي وحدها في غياب محيط اجتماعي مناسب لأن بعض المجتمعات تقتل روح الإبداع وتحول دون تفتق المواهب و ظهورها وما يثبت ذلك ظاهرة **هجرة الأدمغة من الدول الفقيرة التي لا توفر لمبدعيها ما يحتاجونه الى الدول الغنية المتطورة التي تقدر**

المبدع وتعطيه الأولوية مقارنة بالأفراد العاديين، والمبدع أيضا مهما كان يملك من صفات ذاتية تدل على عبقريته فانه يخضع رغما عنه لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه وما يحمله من قيم و مبادئ أخلاقية تحدد نوع الإبداع و مجاله كما هو الحال مع فني الرسم والنحت الذين دار حولهما جدال كبير بين علماء الإسلام بين محرم و مبيح جعل من وتيرة تطور هذين الفنيين متحفظة في المجتمعات الإسلامية مقارنة بما وصل إليه فن الرسم في أوروبا، إضافة الى أن العوامل الذاتية التي لا تجد المناخ الاجتماعي و الثقافي المناسبين مصيرها الزوال فهي تبقى مجرد طاقات كامنة في المبدع كالبذرة التي تذبل و تموت حين لا تجد التربة الصالحة و الرعاية الملائمة لنموها.

الموقف الثاني: في المقابل يرى **علماء الاجتماع وعلى رأسهم {الفرنسي "إميل دوركايم"** أن الإبداع ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى و هي تقوم على ما يوفره المجتمع من شروط مادية و معنوية للمبدع فالإنسان حسبهم كائن اجتماعي بطبعه و أن جميع وظائفه العقلية و منها التخيل الإبداعي لا تنمو إلا في المجتمع و أن الإبداع يرتبط بدرجة نمو المجتمع و حاجاته فالمبدع يبدع لمجتمعه لا لنفسه. لذلك فعملت العديد من الدول على منح اهتمام خاص بالإبداع والمبدعين، وأطلقت من أجل ذلك برامج تعليمية واستراتيجيات دعم مادية ومعنوية تستهدف أصحاب الأفكار الإبداعية، بل وأسست مراكز تعليمية خاصة بنخبة المبدعين تمنحهم جميع الوسائل المادية اللازمة لعملهم.

ومن الحقائق التاريخية أن المجتمع الذي يحترم الابداع ويرعاه يكثر فيه المبدعون، بينما يختفي الابداع في المجتمع الذي يهمله ويزدريه. كما أن طبيعة اهتمام المجتمع ونوع احتياجاته الأساسية تحددان المجالات التي يبرز فيها الابداع، في المجتمع الذي يهتم بالصناعة يكثر فيه الابداع الصناعي، والمجتمع الذي يهتم بالزراعة يكثر فيه الابداع الزراعي، والمجتمع الذي يهتم بمجالات متعددة يكثر فيه الابداع المتوازن نسبيا، والمجتمع الذي يهمل تلكم المجالات يقل فيه الابداع وهذا يعني أن للمجتمع تأثير واضح على القدرات الإبداعية واتجاهاتها، إذا

فالإبداع لا ينمو عادة الا في مجتمع يرعاه ويحترمه ويوفر له البيئة المناسبة لازدهاره، ومن هذا يتبين بوضوح الدور الكبير الذي يؤديه المجتمع وأفراده في رعاية الابداع وإنمائه، والمجتمع الذي يجد الادارات مهتمة بالإبداع سيزداد اهتمامه ورعايته للأبداع والمبدعين.

فالإبداع مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لأنه يحدث إما لجلب منفعة أو دفع ضرر فالحاجة الاجتماعية هي التي تدفع الى الإبداع حتى قيل: «الحاجة أم الاختراع»

إن الحاجة الاجتماعية كثيرا ما تدفع إلى الابتكار فلكي يكون هناك إبداع يجب أن تقوم مشكلة أمام باحث كما يقول رونيه بواريل فالحاجات الاجتماعية هي التي تضطر الإنسان إلى اختراع ما يقاومها لأن الحاجة تتبدى في صورة مشكلة تتطلب حلا يتجلى ذلك في الاكتشافات فمثلا اكتشاف طورشيلي للضغط الجوي كان حاجة الفلاحين لسقي الأراضي المرتفعة وفي هذا الصدد قال لويس باستور: "إن الأفكار الخصبة هي في الغالب بنات الحاجة" كما أن إبداع كارل ماركس لفكرة الاشتراكية إنما هو حل لمشكلة طبقة اجتماعية مهضومة الحقوق وهي الطبقة العمالية التي كانت خاضعة لقهر وظلم الرأسماليين. إضافة إلى ذلك نجد أن عملية الإبداع ترتبط بحالة العلم والثقافة السائدة في المجتمع فالبيئات الاجتماعية والثقافية المتشابهة تؤدي إلى ظهور نفس الإبداعات ولعل هذا ما يفسر لنا تشابه الاختراعات والإبداعات المعرفية في أوروبا في القرن الثامن عشر وفي ذلك يقول الفيلسوف الفرنسي جاك بيكار: "لا يمكن حصول كشف علمي أو اختراع جديد إلا إذا كانت حالة العلم تسمح بذلك" وكثيرا ما يتوصل العلماء إلى اختراعات واحدة في زمان واحد. هذا من الناحية الايجابية لدور المجتمع من خلال توفير شروط الإبداع الملائمة. أما إن لم تكن شروط الإبداع متوفرة في المجتمع فانه لن يحصل ولن يتحقق وما يثبت ذلك أنه من المحال أن يكتشف المصباح الكهربائي في القرن السابع ميلادي لأنه كاختراع يقوم على نظريات علمية فيزيائية لم تكن متوفرة ومعروفة في ذلك الوقت ولم يكن ممكنا اكتشاف الهندسة التحليلية قبل عصر ديكارت لأن الجبر

والهندسة لم يبلغا من التطور ما يسمح بالتركيب بينهما ولم يبدع شعراء الجاهلية الشعر المسرحي في عصرهم لأن المسرح كفن لم يكن معروفا حينذاك ولأنه يقوم على المسارح وهي بناءات كبيرة والعرب في الجاهلية كانوا يسكنون الخيام وكانوا دائمي الترحال والتنقل، **كما أن التنافس بين المجتمعات وسعيها الى إثبات وجودها يجعل كل مجتمع** يحفز أفراده على الإبداع ويوفر لهم شروط ذلك، فاليابان لم تكن شيئا يذكر بعد الحرب العامية الثانية فقد خرجت منها مدمرة لكن تنافسها الاقتصادي مع الو.م.أ و أوروبا الغربية جعل منها قوة اقتصادية خلاقة ومبدعة.

ويرتبط الإبداع أيضا بالتحفيز والتشجيع والمكافآت التي تقدمها الدول لمبدعيها حيث يكثر الإبداع لدى الدول التي تخصص ميزانيات ضخمة للبحث العلمي كاليابان، و الو.م.أ ؛و ألمانيا وفرنسا، فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا تسخر الملايير من الدولارات في بناء المخابر وتجهيزها بمختلف الوسائل الحديثة والمتطورة والتي تمكن علمائها من الاكتشاف بالتالي الرقي والازدهار للمجتمع الأمريكي. **إن البيئة الاجتماعية لا تكتفي بحمل العلماء على الاختراع فقط بل تهيؤ لهم الحلول التي يجب أن يتبعوها و الأنماط التي يجب أن ينسجوا على منوالها أبحاثهم، فالمجتمع إذن ينظم خيال المبدع** لذا قال الفيلسوف الفرنسي **لاكومب**: «**إن الاختراع تنظيم اجتماعي للتخيل التلقاني وغرض هذا التنظيم يلخص بأمرين: أولهما أنه يقيد العقل بهدف اجتماعي فيفكر العالم في نفع الجماعة ويفكر الفنان في إثارة عواطفها وإرضائها، و ثانيهما نقد التراكيب الجديدة التي ولدها التفكير التلقاني وحذف ما لا يتفق منها مع الأهداف الاجتماعية" ومن الذين أيدوا وجهة النظر هذه نجد الفيلسوف الفرنسي وعالم الاجتماع ليفي برويل "فإبداع المثل الأخلاقية يتولد من الحوادث الاجتماعية والدليل على ذلك أن القيم الأخلاقية الجديدة كالحرية وحقوق الانسان قد تولدت في صدر المسيحية والإسلام وعصر النهضة والثورة الفرنسية والثورة الصناعية وغيرها من ثورات القرن التاسع عشر والعشرين وما**

ينطبق على تولد المثل الأخلاقية ينطبق أيضا على تولد الاختراعات فالعوامل التي تبعث عليها عوامل اجتماعية.

النقد: صحيح أن للبيئة الاجتماعية أهمية كبيرة في توفير شروط الإبداع، **لكن الاختراع الجديد كثيرا ما كان ثورة على الأوضاع القديمة وأن المجتمع كثيرا ما يكون عائقا أمام المبدع لأن المجتمع نتيجة تأثير العادات** والتقاليد يكره كل تجديد وتبديل والمبدع بطبعه يحاول تجاوز الواقع، فالناس لا يرتاحون للجديد لأنهم ألفوا القديم. ومما يلفت النظر أن مخترعي نظريات ما بعد الطبيعة يحشرون مع المجانين وأن المبدعين الاجتماعيين (في علم الاجتماع) والأخلاقيين يعدون ثوريين وفوضويين، وأن المبدعين في الفن يعتبرون غير متزنين حتى أن العلماء أنفسهم لا يفهم كلامهم أحد عند إتيانهم بالأفكار الجديدة فيتهمون بمخالفة نظرياتهم للحس السليم وعدم معقوليتها. ولو كان الإبداع راجعا لعوامل اجتماعية فقط لكان كل الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة ومتشابهة مبدعين والواقع يكذب ذلك، إذ كثيرا ما يظهر مبدعون في بيئات اجتماعية متخلفة وغير مناسبة والعكس قد يحصل أحيانا فقد تتوفر الظروف الاجتماعية المناسبة ولا يوجد مبدعون. ذلك أن المجتمع كثيرا ما يظلم المبدع ويقاوم جرأته وفي تاريخ العلوم أمثلة كثيرة تدل على المقاومة التي لقيها المخترعون في زمانهم العالم الفلكي **الايطالي غاليلي** بدوران الأرض حول الشمس حتى أنه دفع حياته ثمنا لأفكاره، وحتى المخترع الأمريكي إديسون تعرض للسخرية من قبل أستاذه

التركيب: من خلال التحليل السباق يمكن القول أن الإبداع ظاهرة معقدة تتداخل في ظهوره عوامل بعضها ذاتي يتعلق بالذات المبدعة، وبعضها الاخر موضوعي متعلق بالبيئة الاجتماعية والثقافية فالأطروحتان متكاملتان وليستا متعارضتين، فالإبداع لا يكون إلا بتوفر الشروط النفسية والاجتماعية معا. فهناك تكامل بينهما، فالشروط النفسية ضرورية لتفسير عملية الابداع، لكنها وحدها غير كافية. ذلك لان الإلهام وحده يصبح مجرد تصور وأفكار خاوية، لذلك فهو في حاجة إلى عوامل

أخرى اجتماعية تكملها فالمجتمع يمثل الحجر الأساس في عملية الابداع والاختراع.

فالإبداع مزيج من القدرات الشخصية وبيئية مناسبة ومثل ذلك كمثل البذرة والتربية، ان الإبداع كعملية لا تحصل إلا إذا توفرت جميع الشروط، فهي تتطلب أولا قدرات خاصة لعلها لا تتوفر عند الكثير، مما يعني أن تلك القلة المبدعة متميزة ولم تكن لتبدع لولا توفر تلك الشروط، غير أنه ينبغي القول أن تلك الشروط وحدها لا تكفي، فقد تتوفر كلها لكن لا يحدث الإبداع، مالم يجد مناخ اجتماعي مناسب يساعده على ذلك، مما يعني ان المجتمع يساهم بدرجة كبيرة في عملية الإبداع بما يوفره من شروط مادية ومعنوية، مما يؤدي بنا إلى القول أن الإبداع لا يكون الا بتوفر الشروط النفسية والاجتماعية معا

حل المشكلة: نستنتج في الأخير أن الإبداع ما هو إلا ثمرة تكامل العوامل النفسية والاجتماعية فهو ظاهرة فردية تضرب بأعماق جذورها في الحياة الاجتماعية، **فالمبدع يتميز بخصائص** نفسية وعقلية خارقة ومتطورة كقوة الذاكرة وسعة الخيال والذكاء الخارق مع الميول القوية والرغبة والاهتمام والانتباه والعواطف الجياشة **إضافة إلى الجو الذي يوفره المجتمع** من شروط و إمكانات مادية ومعنوية تساعد المبدع وتشجعه وتقدر مواهبه. وفي ذلك يقول عالم النفس الفرنسي **ريبو** **"مهما كان الإبداع فرديا فانه يحتوي على نصيب اجتماعي"** هكذا تسهم الأفكار الإبداعية في تطوير وتنمية المجتمعات، وتخلق هذه الأفكار بيئة ملائمة للابتكار في المجالات المختلفة، استطاعت المجتمعات التي تعطي أهمية للإبداع من الاستفادة من هذه الأفكار الإبداعية وتوظيفها في خدمة المجتمع، بل أسست مراكز ومعاهد خاصة بالمبدعين، تؤطرهم وتنمي عقولهم ليصبحوا فيما بعد عقولا ناضجة تسهم بالفكر والابتكار في صناعة مستقبل المجتمع.

الموقع الأول لتحضير الفروض والاختبارات في الجزائر

https://www.dzexams.com

القسم التحضيري	https://www.dzexams.com/ar/0ap
السنة الأولى ابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/1ap
السنة الثانية ابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/2ap
السنة الثالثة ابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/3ap
السنة الرابعة ابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/4ap
السنة الخامسة ابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/5ap
شهادة التعليم الابتدائي	https://www.dzexams.com/ar/bep
السنة الأولى متوسط	https://www.dzexams.com/ar/1am
السنة الثانية متوسط	https://www.dzexams.com/ar/2am
السنة الثالثة متوسط	https://www.dzexams.com/ar/3am
السنة الرابعة متوسط	https://www.dzexams.com/ar/4am
شهادة التعليم المتوسط	https://www.dzexams.com/ar/bem
السنة الأولى ثانوي	https://www.dzexams.com/ar/1as
السنة الثانية ثانوي	https://www.dzexams.com/ar/2as
السنة الثالثة ثانوي	https://www.dzexams.com/ar/3as
شهادة البكالوريا	https://www.dzexams.com/ar/bac